الصديق حاج أحمد (*)

تحقيق المخطوط ونشر التراث
بحث في المنهج وضوابط العمل

من أهم القضايا العلمية التي درج عليها البحث العلمي عند علماء المسلمين التحقق والتثبت الدقيق من المعلومة أولا ودراسة مصادرها وطرق تداولها تجنبا للخطأ والزلل ثانيا حتى لا تكون قواعد ومصادر المعرفة مغلوطة ولهذا حرصوا على بناء منهج علمي دقيق عرف بمنهج تحقيق المخطوطات وتوسعوا في ضبطه والعناية به.

يشاع في دوائر العامة، وأروقة الخاصة، من أن تحقيق المخطوط ونشر التراث من الأمور التي يسهل قطف ثمارها، وجني محصولها بين ظهر وعصر، غير أن العامة قد نلتمس لهم المغفرة في بعض ما ذهبوا إليه من شطط القول، والحقيقة التي لا مشاحة فيها، من أن تحقيق المخطوط من الأمور الصعبة التي تحتاج من المحقق الكثير من الجهد والمراس والحذق والصبر، هذا فضلا عن المنهج العلمي الذي يجب أن يكون متسلحا به.

لقد اعتنى المتقدمون من العرب والمسلمين بالتحقيق، وعرفوا الضبط والتدقيق، وعنايتهم بالقرآن الكريم وقراءاته، وبالحديث الشريف ورواته جعلتهم يحملون أنفسهم بالصعب من المسالك خدمة "للعلم".

فقد ذكر القاضي عياض في كتابه الألماع ضوابط تحري الرواية واللفظ، كما أجمل ابن الصلاح في مقدمته ما يتوجب فيه الدقة في الرواية وما يؤخذ بالوجادة (1).

(*) طالب بشعبة الماجستير جامعة الجزائر.

وإن كنا لا نجهل فضل المستشرقين في ترقية المنهج العلمي للتحقيق، إلا أن فضل العرب والمسلمين في زيادة هذا المنهج ووضع اللبنات الأساسية له أمر بارز، وباعتراف المستشرقين أنفسهم.

كما أن ابن جماعة (2)، والعلموي (3) قد عالج كل منهما آداب البحث والباحث وخصوصا فصولا وأبوابا من كتابيهما لذلك.

كما انبرى الزبيدي الأندلسي (4) لفحص كتاب العين المنسوب للخليل بن أحمد الفراهيدي، وتوصل بعد البحث والتحقيق والتدقيق إلى أن مكان الكتاب هو خرسان وليس البصرة، كما أن زمن الكتاب متأخرا عن زمن الخليل بنحو ثمانين عاما (80)، كما توصل أن مؤلفه يروي عن الأصمعي وهو من الجيل الثاني للخليل، وهو ما جعله يضرب الشك باليقين أخيرا من أن الكتاب ليس للخليل.

والأمثلة على سبق العرب والمسلمين أكثر من أن تذكر وتعد، وقد اكتفينا بما أوردناه دعما لما جزمنا به من سبق العرب والمسلمين إلى هذا المنهج (5).

معنى التحقيق لغة: جاء في لسان العرب: تحقق عنده الخبر أي صح(6)، أما **التحقيق اصطلاحا:** هو إثبات المسألة بالدليل(7). والمراد بالتحقيق في **الاصطلاح المعاصر:** هو بذل الجهد واستقصاء البحث بغية الوصول إلى حقيقة ما قاله مؤلف النص (8).

وعليه فالكتاب المحقق كما يراه شيخ المحققين عبد السلام هارون هو الذي صح عنوانه واسم مؤلفه ونسبة الكتاب إليه، وكان متنه أقرب ما يكون إلى الصورة التي تركها مؤلفه(9).

أما الدكتور مصطفى جواد فيرى أن تحقيق المخطوط هو الاجتهاد في نشره وجعله مطابقا لحقيقته كما وصفه صاحبه ومؤلفه من حيث الخط واللفظ والمعنى وذلك بسلوك الطريقة العلمية الخاصة بالتحقيق(10)، ومن خلال هذه المقاربات ندرك أن عملية التحقيق تقتضي من المحقق الحظ الأوفر من الأمانة والنباهة والأخلاق، حتى يخرج النص كما أراده صاحبه وهذا ليس بالأمر اليسير.

ما يسبق التحقيق:

قبل تحقيق متن الكتاب لابد من أن يقوم بتقديم للكتاب المحقق ويسمى بقسم الدراسة، وفي هذا القسم يدرس المحقق المؤلف وحياته وعصره ونشأته وطلبه للعلم، وجلوسه للتدريس والتأليف وشيوخه وتلاميذه وإجازاته ورحلاته ومناظراته ومؤلفاته وأقوال العلماء فيه ومكانته بين معاصريه إلى غير ذلك من الأمور التي تتصل عن قرب أو بعد بحياة المؤلف وطبيعة الكتاب المحقق، وقد نفرض بعض الإضافات الأخرى، فإذا كان الكتاب المحقق نحويا مثلا فعلى المحقق أن يبرز مذهبه النحوي وموقفه من المسائل الخلافية في النحو وهكذا دواليك كما يجدر بالمحقق أن يخصص الجزء الثاني من القسم الأول

(الدراسة) لدراسة المخطوطة فيصف النسخ المعتمدة في التحقيق وصفا دقيقا ومظان وجودها ومبتداها وآخرها واسم الناسخ وتاريخ النسخ والتمليكات والسماعات التي قد توجد عليها كما يصف مدادها ومسطرتها ونوع الخط وما بها من خروم وطمس وسقط وما أصابها من عوادي الزمن، كما عليه أن يرمز لكل نسخة برمز معين وأن يذكر النسخة الأم التي اعتمدها في التحقيق وسبب ذلك.

ما يجب على المحقق أن يعلمه: لعل أول عمل يقوم به المحقق هو التمرس بأسلوب المؤلف والاستئناس بمؤلفاته ليحصل له الإدراك الكامل أو الجزئي بأسلوبه، ومن ثمة إمكانية معرفة ما قد يحشوه النساخ في متن النص، كما يتسنى للمحقق أن يدرس الموضوع الذي يتناوله الكتاب حتى يسيطر على مسائله، كما عليه أن يعرف التصحيف والتحريف والإعجام وأنواع الخطوط والمختصرات مثل (ثنا بمعنى حدثنا) وعلامات التمريض والتعقيب والإلحاق (⌐¬) والحشو والإكمال وغيرها.

فحص النسخ: تفحص النسخ فحصا داخليا وخارجيا لتوثيق صحتها وهذا يقتضي ما يلي:

1)تحقيق العنوان: وهذا من أصعب وأخطر ما قد يواجه المحقق بل وأحسمها وأجلها لأن كثير من المخطوطات قد ينطمس عنوانها أو تتلف ورقتها الأولى كما أن النساخ والملاك قد يثبتون عنوانا مغايرا للأصل عن قصد أو غير قصد.

وهنا لابد للمحقق الرجوع إلى فهارس الكتب كالفهرست لابن النديم، ومفتاح السعادة، وكشف الظنون عن أساس الكتب والفنون وغيرها من فهارس الكتب والمؤلفين.

2)تحقيق اسم المؤلف: إن المؤلف من الأسماء والكنى والألقاب قد يجر الكثير إلى الخلط بين أسماء المؤلفين، فالتصحيف والتحريف قد يفضي بالمحقق إلى الخلط بين (النصري والبصري) و(الحسن والحسين) و(الخراز والخزاز) (11).

3) تحقيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه: وهذه المرحلة من أخطر المراحل التي يمر بها المحقق، ولابد فيها من التحري والدقة وعدم الاستعجال. فالكتاب الذي تحشد فيه أخبار تاريخية تالية لعصر المؤلف جديرة بأن تسقط من الحسبان، كما أنه يمكن إنساب كتاب معين لمؤلف ما في موضوع ثبت أنه لم يخض فيه، كما أن أسلوب الكتابة وتوافقه مع أسلوب المؤلف كلها قرائن وأحوال تكشف للمحقق عن مدى نسبة الكتاب إلى مؤلفه. وقد ثبت تاريخيا العديد من المغالطات التاريخية في نسبة بعض الكتب إلى مؤلفين غير مؤلفيها، منها ما ذكرناه آنفا لكتاب العين المنسوب للخليل وكتاب اختلاف الفقهاء للشعراني وهو في الحقيقة لأبي الوفاء علي بن عقيل الحنبلي الظفري، وكتاب إعراب القرآن المنسوب للزجاج وهو في الحقيقة لمكي بن أبي طالب القيرواني وكتاب شرح ديوان المتنبي لابن البقاء عبد الله بن الحسين العكبري وهو في الحقيقة

لابن عدلان الموصلي والأمثلة كثيرة على ذلك.

4) تحقيق متن الكتاب: لقد أوجز شيخ المحققين عبد السلام هارون أهم ما يجب في تحقيق متن الكتاب فقال "أن يؤدى الكتاب أداء صادقا كما وضعه صاحبه كما وكيفا بقدر الإمكان، فليس معنى تحقيق الكتاب أن نلتمس للأسلوب النازل أسلوبا أعلى منه أو نحل كلمة صحيحة محل أخرى خاطئة بدعوى أن أولاها أولى بمكانها وأجمل وأوفق" (12) ويقول ايضا في نفس المعنى: ليس تحقيق المتن تحسينا أو تصحيحا وإنما هو أمانة الأداء التي تقتضيها أمانة التاريخ فإن متن الكتاب حكم على المؤلف وحكم على عصره وبيئته وهي اعتبارات تاريخية لها حرمتها كما أن التصرف عدوان على حق المؤلف الذي له وحده حق التبديل والتغيير (13).

منازل النسخ: أعلى النسخ التي تعتمد في التحقيق هي نسخة المؤلف التي كتبها بخطه وتكون هذه النسخة هي الأم وتفضل المبيضة على المسودة وتليها النسخة التي قرأها المؤلف وأجازها ثم تليها النسخة المنقولة من نسخة المؤلف ثم النسخة التي كتبت في عصر المؤلف وعليها سماعات العلماء ثم النسخة التي كتبت بخط عالم مشهود له بالعلم، أما النسخ التي كتبت بعد عصر المؤلف فترتب حسب قدمها.

أما النسخة المطبوعة التي فقدت أصلها الذي طبعت منه فالبعض من المحققين يتخذونها أصولا ثانوية.

مكملات التحقيق:

-العناية بعلامات الترقيم.

-اعتماد الرسم الإملائي الحديث في كتابة المتن.

-صناعة الفهارس الخاصة بالآيات والأحاديث والأمثال والحكم والبلدان والأماكن والقبائل والأعلام والأشعار.

-تحديد الأقواس، فالأقواس الهلالية للآيات وعلامات التنصيص للأحاديث والحاصرتان أو القوسان المعقوفان لما يضيفه المحقق إكمالا للنص من نسخة أخرى وإذا وقع بياض في النص فيرمز له(...).

الحواشي والتعليقات: وهو مخصص لما تدعوا إليه ضرورة خدمة النص والقارئ ويثبت فيه ترجمة الأعلام والبلدان وتخريج الآيات والأحاديث والأشعار والأقوال والأمثال وذلك بردها إلى أصولها المنقولة منها، كما سيستخدم لنقد النص وبيان ما فيه من وهم وخطأ والإشارة إلى الصحيح بعد توثيقه بالأدلة.

التخريج: وهو تحديد مواطن النقول وضبطها وتصحيحها وإكمالها وعزوها إلى أصحابها وإكمال ما فيها من نقص وخلل أو وهم وخطأ.

1)تخريج الآيات القرآنية: يرجع فيها للقرآن الكريم لمعرفة السورة ورقم الآية وعلى المحقق أن يحصر القراءات المشهورة ويعرف القراءة التي اعتمدها المؤلف وفي هذا المقام أجاز الجمهور من

المحققين ضرورة تصحيح الآيات القرآنية في متن النص.

2) تخريج الأحاديث: تخرج الأحاديث بالرجوع إلى كتب الصحاح والسنن ويجدر بالمحقق أن يذكر درجة الحديث من الصحة والضعف.

3) تخريج الشعر: تخرج الأشعار والأرجاز بالرجوع إلى الدواوين الشعرية والمجاميع وكتب الأدب والنحو والشواهد، ويفضل تخريج بحر البيت وإكماله في الهامش وذكر القصيدة إن أمكن.

4) تخريج الأمثال: تخرج الأمثال بالرجوع إلى كتاب مجمع الأمثال للميداني والمستقصي للزمخشري وجمهرة الأمثال للعسكري والأمثال للقاسم بن سلام وأمثال العرب للضبي وغيرها.

5) تخريج النصوص المقتبسة: يرجع فيها المحقق إلى الكتب الأصلية التي اقتبس منها المؤلف لضبطها وتصحيحها.

بعض الكتب المهتمة بالتحقيق: على المهتمين وطالبي التوسع في هذا الباب الرجوع إلى الكتب التالية:

-أدب الإملاء والاستملاء للسمعاني.

-أصول نقد النصوص ونشر الكتب – برجستراسر – إعداد محمد حمدي البكري

-تحقيق النصوص ونشرها –عبد السلام هارون.

-التعريف بآداب التأليف للسيوطي – تحقيق إبراهيم السمرائي.

-التنبيه على حدوث التصحيف – الأصفهاني – تحقيق محمد أسعد طلس.

-شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف –العسكري–تحقيق عبد العزيز أحمد.

-غرر الخصائص الواضحة وغرر النقائص الفاضحة – الوطواط.

قواعد تحقيق المخطوطات –صلاح الدين المنجد.

-تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره – د/عبد المجيد دياب.

-منهج تحقيق النصوص ونشرها – د/نوري حمودي القيسي.

-منهج البحث وتحقيق النصوص – د/يحي وهيب الجبوري.

<u>الهوامش:</u>

1)مقدمة ابن الصلاح –ط1– القاهرة 1326 هـ ص 87.

2)هو بدر الدين محمد بن إبراهيم (ت 733هـ) صاحب كتاب تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم.

3)هو عبد الباسط بن موسى بن محمد العلموي (ت981هـ) صاحب كتاب المعيد في أدب المفيد والمستفيد.

4)المتوفى 379هـ.

5)للتوسع تراجع أطروحة الدكتوراه للدكتور الشريف مريبعي حول مناهج تحقيق المخطوطات عند المسلمين –معهد اللغة العربية وآدابها –جامعة الجزائر.

6)لسان العرب لابن منظور (مادة حقق).

7) التعريفات الجرجاني –ط1969– بيروت ص55.

8) تحقيق التراث العربي –منهجه وتطوره د/عبد المجيد دياب –ط 1993– دار المعارف ص 134.

9) تحقيق النصوص ونشرها –عبد السلام هارون– مكتبة الخانجي القاهرة –ط6– 1995 ص 42.

10) فن تحقيق المخطوط –مجلة المورد العراقية– المجلد السادس –العدد1– بغداد 1977.

11) تحقيق النصوص ونشرها عبد السلام هارون ص44.

12) عبد السلام هارون ص46.

13) عبد السلام هارون ص47.

<u>تنوي المجلة تخصيص أعدادها القادمة للمحاور التالية:</u>

1- تجربة الصحافة الجزائرية.

2- الأدب المغاربي المعاصر.

3- حوار الثقافات والحضارات.

4- الأوقاف الجزائرية وبعدها الحضاري.

5- الخصوصيات الاجتماعية والنفسية للمجتمع الجزائري.

6- شخصيات تاريخية في الفكر والأدب.

7- فلسفة السياسة والحكم في الجزائر.

8- نقد العقل العربي.

9- دراسات في الفكر الإسلامي المعاصر.

10- المناهج النقدية المعاصرة في تحليل الخطاب الأدبي.

فعلى الزملاء الأساتذة والباحثين الراغبين في المشاركة إرسال إسهاماتهم إلى عنوان التبيين.